

خول عصر المأمون

« ... ودل أنك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا اني آنست ناراً لعل آتيكم منها بقبس أو أجده على النار هدى »

ضل كايم الله بأهله في ليلة ليلاء بمقربة من الوادي المقدس طوى ، فلما رأى ناراً قال لأهله امكثوا لاذهب إليها لعل أحضر إليكم منها قبساً أو أجده على النار هدى يرشدنا إلى السبيل السوي .

وفي الساعة التي كادت تهبط على الحكيم رسالة من الله وقد اكتمل مداور الرجولة واختاره الله ليستمع لما يوحى إليه ، لم يأتف ، وقد ضل الطريق وسجاه وأهله الليل البهيم ، أن يسعى الى النار ليسترشد بها ، والى الاقباس المضيئة يتخذها نبراساً ، يقيناً منه بأنه بشر مخلوق وأن لاعاصم له من الزلل الا الله ، وأن لاهادى له ، وقد اكتنفته الظلمات ، الا باريء الاكوان .

هذا مثال الحكيم موسى والرسالة إليه هابطة ، والوحي الالهى منه قاب قوسين أو أدنى . أما كايم وزارة الداخلية في بداءة القرن العشرين ومهبط وحي الوزارات المعروفة ، وموزع الارزاق وقابضها ، وقاطع الاعمار وواصلها ، ومسبب الاسباب ، والمأنح بحساب وبغير حساب ، والطافي على وجه الحياة اذا شاءت الاقدار أن يكون ناسج برده ، ونافض لفته ، في الوزراء رئيساً ، والهابط في الحياة من بعد ذلك الى أبعد الاغوار اذا شاءت مقادير السياسة أن تنتزع من خالقه — سبحانه اللهم — سلطة الحكم والرياسة ، هذا الحكيم الذي هبط علينا بتوراة جديدة ألبسها ثوب كتاب في التاريخ ، هو كتاب عصر المأمون ، المنزل على لسان المعصوم من الخطأ المبرأ عن الزلل ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الدكتور النابغة احمد بك فريد رفاعى المفتش بوزارة الداخلية ، أما هذا الذي يجب أن تمنوا له الجباه ، وتمسح له الوجوه بالاعتاب ، والذي أخرج كتاب العام بل كتاب القرن بل كتاب العصور والدهور الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، والذي فتح في التاريخ فتحاً

جديداً ، بعد أن أوصدت أبوابه فكانت جامداً وحديداً ، والمرشح للرسالة
الربانية السرمديّة ليأخذ بيد أهل هذا الجيل وقد هاموا في وسط التيه ليبلغ
هم الى أرض المعاد ، أما هذا فأين منه الكليم موسى وقد أراد أن يسترشد
ياقibas النار الداوية في رأس جبل بعيد عند منقطع العمران ؟

سبحانك رب ! إذ وهبتنا في سخطك وغضبك عقولا تميز بين مراتب
الاشياء ، وضائر تحز في صميم وجداننا وخزاً أجدر أن تبعث به اليها يدك
القاهرة القوية ، وتموساً ما خضعت الا لموجيات ما خصصت به البشر من صفات
الحياة والفكر ، ألا شئت إرادتك أن توحى إلينا بهبوط نبي هذا العصر من
سما المريح أو زحل ، لا بمائدة فقد أكل عليها الكثيرون وشبعوا حتى فاضت
معاهم بهضلات دفقت فكانت في أعمدة الجرائد مقالات وفصولا ، ولا بال المعز
وذهبه نقد ملأ الجيوب وغشى على العيون والعقول ، ولكن بكتاب « عصر
الأمون » الذي رتل آياته المرتلون ، وشاد بذكره الشادون ، ولعله عما قريب
يتلى على المقابر تبركا واستدرا لمراحم السماء ، ولم ينقده في أنحاء الشرق من أهل
العربية ، وهم شعبك المختار ، الا يهوذا هذا الزمان ، وأسخريوطى هذا الأوان ،
محرم مجلة العصور ؟

اللهم غفراً !!! ألم يأت لمحرم العصور نبأ تلك المعجزة الكبرى التي أفاءت
على حواربي ذلك النبي ، بما جمع بين شتات أفكارهم فتواردت خواطرهم ، فكان
رد حواربه الاول حسن حسين ، عليه من الله الرضوان ، في جريدة المقطم ، هو
نفس رد حواربه الثاني « قارى » ، ورد حواربه الثالث « سليم بما هنالك »
عليهما السلام ، في الكشكول !!! أليست هذه معجزة كبرى أين منها ابراء
الأكمه والابرص واحياء الموتى ؟ ألم يذكر حسن حسين في المقطم أن محرم العصور
رجع الى دائرة معارف الاسلام وكتاب كرد علي ؟ ثم ذكرها « قارى » في
الكشكول ، على نفس النمط وعلى ذات الاسلوب ! ألم يذكر الاول في ما كتب أن
محرم العصور لا يعرف الا أسماء كتب يجمعها من فهرستات المكاتب ، ثم ذكر
الثاني ذلك في مقاله !!! آمنا بك وأسلمنا وجهنا على يدك لله حنيفا ، وصدقنا
برسالتك ووحيك فاحشرنا مع التائبين ! !

ألم يستو حواربه في ذكر الغرور ونزق الشباب والجهل والغباء والتعامل

والضغن وما إلى ذلك مما في قاموس الحواريين في هذا العصر ، ومما ينبغي عليهم
 نبيههم ببعضه ؟ ثم ألم ينصح محرر العصور أحد هؤلاء الحواريين الذين لا نعرف
 من أكثرهم إلا حروفا ورموزاً ، بأن رجعتة إلى مثل ذلك « الهراء » الذي نشره
 في العصور نقداً على الكتاب المنزل على لسان النبي المرسل ، سيكون عليه نقمة
 وسعيراً ، وشراً مستطيراً !! ؟ !!

ونحن بعد كل هذا لا نقول هؤلاء الناديين في مناحة الأدب ، الهادمين لما
 تقوم عليه نهضات الشعوب من حرية في الرأي واستقلال في الضمير ، العامدين
 إلى اللغو يظنونهم علماء ، وإلى الجهل يحسبونهم فيوضاً ونمماً ، السكاذبين على وجدانهم
 فيما يكتبون ، الهارفين بما يعلمون وبما لا يعلمون ، الصارين بأرجلهم على خزائن
 الأدب يظنون أنها عليهم وعلى الموحى إليهم وفناً ومتماداً ، المتلظين للتقرب
 من ذوى السلطة والجاه حرقة والتبائلاً ، النافخين في القصب الأُحوف ليحيوا
 منه هيكلاً نخره السوس ، لا نقول هؤلاء ، واحداً واحداً ، كبيراً وصغيراً ، إلا
 كما قال بنو إسرائيل لموسى : « من ذا الذى جعلك علينا حاكماً وأميراً » .

وبعد . فقد عيب علينا أننا نظرنا في ناحية بعينها من نواحي الكتاب ،
 كأن المدافعين عن الكتاب ومؤلفه قد عز عليهم إلا أن يظهر كل عوراته وأن نبين
 عن أخطائه الفاحشة وتعليقاته السقيمة التى أسند إليها الحوادث التاريخية الكبرى .
 ولست أدري كيف يتيسر نقد كتاب عصر المأمون من غير أن يقسم
 أقساماً ويوزع أقساطاً ، وقد اختلط فيه التاريخ بالأدب بالشعر بالفقه ، وترأى
 على مسرحه السياسيون والخطباء والشعراء والفقهاء على خشبة واحدة فظهروا
 كالتخليط إذا اجتمع فيه العرب والعجم ، وامتزج فيه السامى بالآرى ، والصقلبي
 بالرومى ، والحلبشى بالقوقاسى ، وأخذ كل منهم يرطن برطانتته ، فكان من اختلاف
 صورهم وألسنتهم صورة ، هى أشبه الأشياء بكتاب عصر المأمون .

وأكبر ظنى أن مؤلف الكتاب لم يختار له عنوان « عصر المأمون » إلا من
 أجل أن يفلت بذلك من النقد محاولته الإفلات من كل شئ . فإذا انتقد من
 ناحية التاريخ ادعى أنه كتاب فى الأدب . وإذا انتقد من ناحية الأدب قال بأنه
 كتاب فى التاريخ . وإذا انتقد من ناحية الفقه قال أنه كتاب فى تعاليل الحركة

الأدبية في عصر المأمون . وإذا انتقد من هذه الناحية زعم انه كتاب في التراجم
وإذا انتقد من ناحية التراجم قال بأنه كتاب في التاريخ العام، لا حرج على المؤلف
إذا رجع فيه إلى حرب داحس والغبراء ، وذكر بجانب الأمين والمأمون غول
تأبط شرا ، وجن سفيان بن حرب .

وكذا نظن أن مؤلف الكتاب والذين يشيدون بذكره من أذنبه يعرفون
أن الاصل في النقد اختلاف في الرأي وتقرير لمختلف وجهات النظر من غير
احتياج إلى ذكر الاصل بجانب النقد جرياً على الطريقة التي اتبعها قديماً فئمة من
الكتاب والنقاد . على اننا نجاريهم فيما يريدون ونذكر لهم في هذا النقد كلمات
المؤلف بذاتها لعلمهم لا يدعون بأنها ليست من الكتاب . على أن هذا مستطاع
اتباعه ازاء أشياء ذكرت في الكتاب وكانت خطأ ولكن كيف يمكن أن يتبع
هذا ازاء وقائع تاريخية لا يمكن فهم عصر المأمون بغيرها ، ينكرها المؤلف كل
انكار ، ويهملها كل اهمال ، كمسألة النقل إلى السريانية الذي تقدم النقل إلى العربية
وتأثير المفكرات النسطورية واليعقوبية على صور الفكر التي ذاعت بين العرب
وعلى الاخص في عصر المأمون ؟ لا جرم أن ما يطالبنا به اذنب المؤلف غير مستطاع
في هذه الناحية . لهذا نقصر النقد على ناحية واحدة هي ناحية الخلاف بين علي
وعثمان ونمضي ننقل فقرات من كتاب عصر المأمون ثم ننقل فقرات من كتاب
سير ولیم میور وهو حجة بين المؤرخين الذين أرخوا في الخلافة وله فيها كتاب
لم ينس المؤلف أن يذكره في كتابه ، ونحن على يقين من انه لم يقرؤه ولو قرأه
لذكر على الاقل أن سير میور يعلل الخلاف بين علي وعثمان تعليلاً تاريخياً صحيحاً
راجعاً إلى ناحية التحليل التي يدعى المؤلف انه انتهجها في كتابه . وإذا لم يكن
المؤلف قد عرف ماهي الطريقة التحليلية في كتابة التاريخ فانا نقول له انها عبارة
عن تحليل الحوادث إلى عناصرها الاولى والرجوع بها إلى أصولها الاولى لا إلى
صورها الظاهرة التي تتشكل بها في عصر ما من العصور . أما طريقة التحليل فقد اتبعها
سير میور بان حلل الخلاف إلى عناصره الاولى فبان له أن الخلاف موروث من العصر
الجاهلي وانه كمن في عهد الرسالة ، ثم أخذت بوادره تظهر بعد موت النبي مباشرة
وظهر بأجلى صورته في خلافة عثمان . أما طريقة التقرير فقد اتبعها مؤلف عصر المأمون
بان أرجع الخلاف خطأ إلى مظاهر تشككت بها العناصر الاولى في أواخر عصر عثمان .

ولا يجدر بنا أن تمر هذه الفرصة دون أن نرشد المؤلف إلى مراجع في حقيقة التاريخ يصح أن يرجع اليها إذا أراد أن يؤلف في التاريخ مرة أخرى . ليرجع إلى ما كتب نيبوهر الألماني في كتابه المعروف وإلى ما كتب ماكولي تريبيان (لاورد ماكولي) في رسالة Clío أي آلهة التاريخ وإلى ما كتب العلامة الثبث ليكي في مقالاته المعروفة . نذكر هذا ابتغاء مرضاة الله أولاً وابتغاء النفع ثانياً كان الخلاف بين قبائل العرب الموروثة من الجاهلية سبباً في سقوط أكبر دولة عربية عرفها التاريخ وهي دولة الأندلس . وكان هذا الخلاف الموروثة سبباً في أن تدمع الامبراطوريات والدول العربية بطابع القبائل بل بطابع العشائر والبطون . فمن دولة يؤسسها بنوهاشم إلى دولة يؤسسها بنو أمية . وظل الأمر على هذا حتى خرجت الخلافة من يد العرب وسقطت الأندلس في يد الأوروبيين الذين استردوها في الواقع مستعينين بالخلاف الواقع بين البيوت والانحياز العربية ولقد أثبت هذا الرأي باجلى بيان العلامة الكبير المؤرخ رينهارت دوزى وتقدم في ذكر هذا الخلاف أربعة فصول استغرقت من كتابه الخالد أسبانيا الإسلامية من ص ٦٥ إلى ص ١٢٢ (طبعه شاتو ووندس سنة ١٩١٣) تناول فيها الخلاف بين اليمانيين والمعديين ثم بين الخوارج والشيعة ثم بين الكلبيين والقيسين ، وعاد من بعد ذلك فعقد فصلاً في الصميل ابن حاتم وهو من أعيان القيسيين وذوى الجاه فيهم وما كان من الخلاف بين رجل كنانى من معد ورجل من بنى كلب تدخل فيه الصميل حتى كبر الخلاف وكان من آثاره أن مهد السبيل لعبد الرحمن الأول ، صقر قریش ، أن يهبط الأندلس ويقبض عليها بيده القوية . وقد استغرق هذا الفصل من ص ١٤٩ إلى ص ١٦٠ من ذلك الكتاب الذى لا تناسكاً في القول بانه من العار أن يظل إلى الآن غير مترجم إلى العربية التى هى به أولى من كل اللغات الكثيرة التى ترجم اليها .

ولقد مضى دوزى في كل فصول كتابه العظيم يتعقب أدوار هذا الخلاف حتى انتهى به إلى سقوط الأندلس في قبضة الأوروبيين ، وما كانت لتسقط لولا هذا الخلاف الموروثة . فاذا كان هذا الخلاف قد أسقط العرب في الأندلس متنقلاً من رمال البادية إلى أرض الحضارة ، فكيف به بين على وثمان ورمال البادية لا تزال تسمى عليه من كورها المتوقد ؟

قال مؤلف كتاب عصر المأمون :

« حمل الفتح الاسلامي الذي قام به الخلفاء الراشدون في سبيل الدعوة الدينية (فكانه من القائلين بان الاسلام قام على الفتح والسيف وهو ما يخالفه فيه المحققون من المسلمين والافرنج معاً) من العناصر المادية والاجتماعية والسياسة ما كانت لي نتائج، وآثاره . فبعد ان كانت الاموال في أيام النبي صلى الله عليه وسلم نحو أربعين ألفاً بين ابل وخيل ، وبعد ان كان عمر بن خطاب دهشاً مرتاباً حينما أبلغه أبو هريرة عند قدومه من البحرين أنه أتى بخمسة مائة ألف درهم — بعد ان كان دهشاً من هذه الثروة أصبحنا نرى ، بعد عهده بقبائل ، جسامه الهبات مما لا تعد هذه الاموال الى جانبها شيئاً مذكوراً . » ص ١ — ثم قال في ص ٣ « ولكن الحال تغيرت الى مدى بعيد ، حتى أصبح المال غرضاً تشرئب نحو حيازته الاعناق وتنزع نحو امتلاكه النفوس » — وبعد ان ضرب مثلاً بالحجاج اذا قال لاهل الشام وقد امتنعوا من ضرب الكعبة بالمانجنيق — « يا اهل الشام قاتلوا على أعطيات عبد الملك » — ذكر مايتى :

« ذلك هو أثر المال في الاخلاق والاحوال والنفوس طبقاً للتطورات الاجتماعية » . فكانه يخيّل اليه ان كثرة المال وقتله تحدث تطورات اجتماعية سماحه الله . في حين أنها لا تحدث الا حالات اجتماعية تزول بزوال أسبابها . والا لذكر الاجتماعيون وعلماء النفس المال ضمن النواميس التي تحتكم في صفات الافراد والجماعات . ثم قال في ص ٦

« وليس من شك في ان شباب العرب عامة وقريش خاصة لهم آمالهم ولهم مطامعهم وهم في مقتبل عمرهم (كان قريشا كلها كانت شباباً في عصر عثمان) حين يكون الطموح الى اعتلاء المراتب مصطدماً بالوازع الدين (ومتى اصطدم الوازع الديني باعتلاء المراتب) وأنهم تألموا ان ينال عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألف درهم ومروان بن الحكم خمسة عشر ألفاً مع ان عثمان استردها منهما لما عوتب ونوقش ، وتألموا لاحتكار آل عثمان مناصب الدولة وهم يرون في أنفسهم من الكفايات والمواهب ومن الحسب والنسب ما لا يقل عما لهؤلاء » — فكان المؤلف يريد أن يقول إن كثرة الذهب والارزاق في يدي عثمان وأيدي أهله هي السبب في الخصومة ، لا بين عثمان وعلى ، بل بين أولاد هاشم وأولاد أمية — فتأمل .

في هذا السبب وحده حصر مؤلف عصر المأمون سبب الخلاف بين بني هاشم وبني أمية ، لم يذكر غيره بل عقد عليه فصلاً طويلاً مملاً أكثر فيه من الاستشهاد بمن تزوج ودفع مهرأً غالياً ، وبمن جاع من الجند وقواد الجند . وليس هذا من الحقيقة التاريخية الا في منزلة السبب الظاهر الذي يتخذ ذريعة لارضاء نزعة موروثه وخلاف تناذله الاخلاف عن الاسلاف لا يعرّنه الا من عكف على طريقة التحليل التاريخي الذي يرد الحوادث الى عناصرها الأولية كما ذكرنا آنفاً . ونحن لا نريد أن نذكر للمؤلف أنه أخطأ اعتباطاً وأنه لم يألف طريقة التحليل التاريخي عفواً ، بل نذكر له ما ذكر السير ولیم میور ، الذي استشهد به في غير موضع من كتابه ، والظاهر أن لم يقرؤه أبداً بل عرف اسمه فقط ، ليكون حكماً بيننا وبينه ، وبيننا وبين أذنبه ، الذين يهرفون باللغو وهم لا يعرفون شيئاً ، ليعرف الناس ان مؤلف عصر المأمون قد ائتمد على الطبري وابن الاثير وأمثالهما من كتاب المدونات السقيمة ، وحلى ما كتب ببعض ألفاظ « كالتطور الاجتماعي » و « ولهي آسفين » ، ليوهم الناس بأنه كتب في التاريخ . ولو استطاع المؤلف أن يثبت لي أن سير میور قد ذكر في مؤلفه عن الخلافة أن المال كان سبب الخلاف بين بيت هاشم وبيت أمية مرة واحدة ، لاعترفت له بأنه قرأ كتاب میور مرات لا مرة واحدة .

جاء في كتاب سير میور ص ١٩٩ وص ٢٠٠ من طبعة جون غرانت سنة ١٩١٥ ما يلي : « استمر حكم عثمان اثني عشر عاماً . ولقد اعتاد الكتاب أن يذكروا أن الست سنوات الاولى كانت هادئة ، والست الاخيرة كانت على العكس من ذلك ، وبعبارة أخرى ، أن تيار الاحوال قد نكص إلى النقيض خلال السنوات الاخيرة من حكم عثمان . ونضج القلق وعدم الرضاء فصار شجاراً وتجمعت العواصف فأنفجرت منقضة باقصى شدتها على الخليفة المسن . ان في هذا جزء من الواقع . ولكن الحقيقة أن أسباب الكراهية كانت تعمل جادة منذ بدء خلافته وهذه الاسباب مزدوجة ، كما ذكرنا من قبل . وتنحصر أولاً — في العداء الواقع بين الامة العربية في مجموعها وبين قریش — وثانياً — في البغضاء بين بيت هاشم وبيت أمية الذي كان عثمان أحد افراده .

« ان الجنود العربية ، وقد سكرت بخمرة العظمة وجنت ثمار الانتصار ، كانت منتشرة في كل أنحاء الامبراطورية . أما في سوريا فقد كسرت من حدتهم

يد معاوية القوية التي زادها قوة كتلة كبيرة من مواطنيه الأشداء الذين هجروا مكة والمدينة واستوطنوا هنالك . على العكس مما كان في بقية البلاد ، فإن القبائل العربية ، وقد شعرت بقوتها وسلطانها ، قد ساروا إلى العنصر بنواجرهم على ناصية الحال . ولقد تركت كل النتائج التي أدت إليها نزعتهم المشبعة بحب الفوضى والتنازع العصبي في بلدتى الكوفة والبصرة . وفي هاتين المدينتين ظهرت تلك النزعة لأول مرة خلال حكم عمر . ولم يكن في مقدور عمر أن يكبح من جماع غطرستهم وخشونتهم . فلقد تعب العرب من الحكيم المنظم : وكان السبب في هذا أن نجاح الاسلام كان نتاج لسيوفهم من جهة ، ولأن الاسلام ، وقد دعى الى الاخوة والمساواة قد وضع كل المؤمنين وعلى الأخص من جرى في عروقه منهم الدم العربى في صف واحد من غير تفضيل بينهم ، من جهة أخرى . والحقيقة ان قوة أمير المؤمنين كخليفة للنبي كانت مطلقة غير مقيدة بأية سلطة دستورية من أى نوع كانت . غير أنه كان ، على الرغم من هذا ، يخضع الى ميول الرأى العام . فلم يكن يستشير الزعماء الذين هم حوله عند حلول الساعات الرهيبة لاغير ، بل كانت القاعدة أن يفرض على عماله الخضوع لمثل هذا العرف مادام هو خاضع له . وعلى هذا تجد أن الامتيازات التي منحتها عمر بن الخطاب الى أهالى الكوفة والبصرة إجابة لبعض مطالبهم قد وضعت أمام خلفه عقبة شديدة وأعطته درساً مرّاً ، إذ هيات أهل هاتين المدينتين بفرصة أستشعروا بها ريح القوة ، فلم يلبثوا أن فكروا فى الانتفاع بها . وبهذا أخذت روح الفتنة تشتد على مر الأيام . روح العناد والخصام للسلطة الحاكمة ، والتبرم بالحكم القریشى . »

« أما السبب الثانى ، فعلى الرغم من أنه كان أقل تهديداً للاسلام فى مجمله ، فإنه كان أكثر للخلافة كيداً وأشد منها نيلاً ، وعلى الأخص من شخص عثمان . فلو أن قريشاً كانت قد التأمت وحداتها من حول الخلافة لكان فى استطاعتهم أن يقتلوا روح الخلاف العصبى فى مهده . غير أن ضعف عثمان ، وروح التحيز التى قرب بها أهله الاقربين ، قد أهاجت روح الغيرة فى بنى هاشم ، فبدأوا يتحدثون بحق على بن أبى طالب وأسرة النبي وأخذوا يعملون على إسقاط بنى أمية الذين منهم عثمان أمير المؤمنين . وهذا الفرع ، لسوء حظ بيت أمية ، كان من أواخر من اعترف برسالة النبي . كما كان الذين حباهم عثمان بعنايته من أوائل الذين قاوموا الاسلام وأعلنوا عليه الجهاد . وهنا رجعت الذكرى الى كل ما فاه به محمد فى تلك

الايام التي ملئت كراهية وحقداً واتخذت سبباً في تسويد صفحاتهم ، وزويد الناس بأسباب تضعف الثقة بالحكومة التي أيدهم ورفعت مراتبهم وزودتهم بالقوة والسلطان . وبهذا انقسمت قريش ، فأوهنت المشاحنات من نفوذهم ، وفقد عثمان ذلك العضد الذي كان يستطيع به ، لولا هذه المشاحنات ، أن يقضى به على روح التبرم العربية . ومما زاد النار لهيباً أن عاليا وحزبه قد ارتطموا في حمأة سياسة الخروج على الحكومة الرئيسية في الخلق البدوي ، تلك السياسة التي كانت تتمتع بسرعة دم الخلافة ، والتي كان من المحتوم ، كما كان من الواجب على علي أن يدرك ، أن تنقلب عليه في النهاية ، إذا شاءت الاقدار أن يكون خليفة يوماً ما . »

هذه هي الاسباب التي يعزو إليها السير وليم ميور الخلاف بين علي وعثمان ، بل الخلاف بين بيت هاشم يمثل الاول ، وبين بيت أمية يمثل الثاني . وهذا هو التحليل الدقيق لعناصر التاريخ الأولية وتدعى هذه الطريقة عند المؤرخين طريقة التحليل التاريخي . فلو أن مؤلف عصر المأمون كان قد قرأ شيئاً من مؤلف سير ميور كما يدعى لاستطاع ، على الأقل ، أن يسترشد بهذه الاقباس ولتيسر له أن يقتض منها قبساً يضيء به نواحي هذا العصر ، عصر الخلاف الاموي الهاشمي ، بدل أن يتركها في مداهم تلك الظلمات التي تركها فيها ، وغامر بان يلقيها على شباب هذا العصر على أنها تاريخ وما هي من التاريخ في كثير ولا قليل .

أمثال هذه الاخطاء التاريخية كثيرة في الكتاب . ولا نعلم كيف يمكن أن تكون تاريخاً تلك الروايات الآخذ بعضها برقاب، بعض والتي قدفنا بها مؤرخ عصر المأمون من غير أن يحلل شيئاً منها الى عناصره الأولية . ولا شك في أن الكتاب اذا أخذ على أنه مدونه مستفيضة لحوادث وقعت في فترات من تاريخ العرب لا يستحق تقدير الذين يعجبون بالمدونات . أما انه تاريخ مفصل لعصر المأمون أو لغيره من العصور ، فذلك ما لا يسلم به كل من وقف على حقيقة التاريخ وعرف ما هو التحليل التاريخي الحديث . وبعد كل هذا فنحن نلوم أساتذة الجامعة على شيء واحد . فما كان أجدرهم بان يقتصروا على أن يجمعوا مؤلف عصر المأمون دكتوراً في التدوين . أما لقب فائق فذلك ما لا يسلم لهم به بن الاثير والطبري وأبو الفدا والمقريزي وآخرهم الجبرتي في عصر الحملة الفرنسية .